17 em Année No. 809

Lundi — 3 — 1 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٨٠٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٨ — ٣ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

الإسلام دين القوة

الإسلام دين القوة ؛ وهل في ذلك شك ؟

شارعه هو الجبّار ذو القوة المتين ؛ ومبلغه هو محمد الصبّار ذو العزيمة الأمين؛ وكتابه هو القرآن الذي تحدى كل إنسان وأعجز ؛ ولسانه هو العربي الذي أخرس كل لسان وأبان ؛ وقواده الخالدون هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر ؛ وخلفاؤه المعمرون هم الذين رفعوا عروشهم على نواصي الشرق والغرب . فمن لم يكن قوى البأس ، قوى النفس ، قوى الإرادة ، قوى العزيمة ، قوى العقيدة ، قوى الإنسانية ، قوى الأمل ، قوى العدة ، كان مسلماً من غير إسلام ، وعربياً من غير عروبة !

الإسلام قوة في الرأس ، وقوة في اللسان ، وقوة في اليد ، وقوة في الروح .

هو قوة في الرأس لأنه يفرض على العقل توحيد الله بالحجة ، وتصحيح الشرع بالدليل ، وتوسيع النص بالرأي ، وتعميق الإيمان بالتفكر .

وهو قوة في اللسان لأن البلاغة هي معجزته وأداته ؛ والبلاغة قوة في الفكرة ، وقوة في العاطفة ، وقوة في العبارة .

وهو قوة في اليد لأن موحيه — وهو الحكيم الخبير — قد علم أن العقل بسلطانه واللسان ببيانه لا يغنيان من الحق شيئاً إذا ما أظلم الحس وتحكمت النفس وعميت البصيرة ؛ فجعل من قوة العضل ذائداً عن كلمته وداعياً إلى حقه ومنفذاً لحكمه ومؤيداً لشرعه . كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم ودينه ؛ وفرض عليهم إعدادَ القوة والخيل إرهاباً لعدوهم وعدوه ؛ وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله . ولكن القوة التي يأمر بها الإسلام هي قوة الحكمة والرحمة والعدل ، لا قوة السفه والقسوة والجور ؛ فهي قوة مزدوجة ، أو قوة فيها قوتان : قوة تهاجم البغي والعدوان في الناس ، وقوة تدافع الأثرة والطغيان في النفس .

والإسلام بعد ذلك قوة في الروح لأنه يمحص جوهرها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل .

وأنت إذا عرضت على الفكر السليم الحكيم مبادئ العقيدة الإسلامية ، وجدتها كلها تتجه إلى القوة ، أو إلى ما تحصل به القوة ؛ فالصلاة نظافة جسدية بالوضوء ، وطهارة روحية بالذكر ، ورياضة بدنية بالحركة . والزكاة تقوية للضعيف بالتصدق ، وتنمية المال بالتطهير ، وتمكين للمجتمع بالتعاون . والحج قوة اجتماعية بالتعارف والتآلف ، وقوة سياسية بالتشاور والتحالف ، وقوة

الاقتصادية بالبيانات والتسوّق . وإن أشد ما تجتمع به القوة وتمتنع عليه المحال هو الوحدة والجماعة ، وهما لباب الدعوة الإسلامية . فالوحدة هي الأساس الذي حمل ، والجماعة هي الصرح الذي قام . كانت الوحدة هي الأساس لأنها توحيدٌ لله بعد إشراك ، وتوحيدٌ للعرب بعد شتات ، وتوحيدٌ للرأي بعد تفرق ، وتوحيدٌ للغة بعد تبلبل ، وتوحيدٌ للقبلة بعد تدابر . وكانت الجماعة هي الصرح لأنها جُمعة القلوب التي ألف بينها الله ، وجملة الشعوب التي رفع شأنها محمد . ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذي يكفر بوحدة العقيدة والأمة يُقتل ، والطائفة التي تبغي على جماعة المسلمين تقاتَل . والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أُديت في جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم ، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تضخم في أداء الحج مرة — على الأقل — في كل عمر .

على ذلك كان إسلام محمد وأبي بكر وعمر ؛ وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد وعمرو . كان العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للحق والسيف للباطل ؛ وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة أن فعل كتاب الرشيد ما يفعل الجيش ؛ وبلغوا من المروءة أن سيَّر المعتصم جيشاً لإنقاذ امرأة . فلما شذت الوحدة ، وتفرقت الجماعة ، وصارت سيوف المسلمين خُشُباً يحملها خطباؤهم على المنابر ، ومصاحفهم تمائم يعلقها صغارهم على الصدور ، أصبحت دولهم تبعاً لكل غالب ، وتراثهم نهباً لكل غاصب ؛ وبلغوا من التخاذل والفشل أن الأندلسيين يُجليهم النصارى عن أوطانهم بالأمس فلم يجدوا الرشيد ؛ وأن الفلسطينيين يشردهم اليهود عن ديارهم اليوم فلا يجدون المعتصم !

إن مسلمي هذا الزمن الأخير صاروا من جهلهم بالدين وعجزهم في الدنيا على أخلاق العبيد ؛ يُطأطأ إشرافهم فلا يندى لهم جبين ، وتُنتقص أطرافهم فلا يحمى لهم أنف ، وتنزل بهم الشدة فيتخاذلون تخاذل القطيع عاث فيه الذئب ، ويغير عليهم العدو فيتواكلون تواكل الأخوة دبّ فيهم الحسد ، وتجمعهم الخطوب فرقة فيهم الطمع والهوى ، ويلجأون إلى جمعية الدول المتحدة فيخذلهم العدو والصديق ؛ كأن الإسلام الذي كان عامل قوة وائتلاف ، قد انقلب اليوم علة ضعف واختلاف ! وكأن الدين

كنا نقول لهم بلسان الجهاد : أسلموا تسلموا ، يقولون لنا بلسان الاضطهاد : تنصَّروا تُنصَروا ! ! ولكن الإسلام دين الله لا يغيره الزمن ، ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تمسخه المذاهب ؛ وإنما المسلمون اليوم هم أعقاب أمم وعكارة أجناس وبقايا نظم ورواسب حضارات ورواسب جهالات وطرائد ذل ، فتصدت مبادئ الإسلام في نفوسهم المشوبة كما يفسد الشراب الخالص في الإناء القذر .

إن جامعة الدول العربية كانت تعبيراً جميلاً لحلم ساور النفوس الطيبة حقبة من الزمن . ولكن الحلم قد يقع وقد لا يقع ، والتعبير قد يصدُق وقد لا يصدُق . ولو كان ميثاق هذه الجامعة قبساً من نور الله وهدياً من سنة الرسول ، لما رأيناها في نكبة فلسطين تعد ولا تنجز ، وتقول ولا تفعل . ولو ظل أمرها قائماً على الخطب الحماسية والوعود المغرية والتصريحات البليغة والاجتماعات المتعاقبة ، لظلت في نفوس العرب والمسلمين مناط الثقة ومعقد الرجاء ومثابة الأمن ؛ ولكن طالعها السيئ ابتلاها وهي لا تزال في زهو النشأة وصفو المآدب بحرب الصهيونية الهينة ، فتحمست الدول السبع ، وسيَّرت كتائبها الظافرة إلى عصابات اليهود في فورة من الأناشيد والخطب ؛ فلما صار الأمر جداً والكلام فعلاً وقفوا على أطراف الميادين وقفة الحائر القلق : هذا يتجه إلى بريطانيا وفي يده التاج الناقص ؛ وذاك يلتفت إلى أمريكا وفي كفه النقد المبرم ؛ والآخرون يتهيبون الأمر وينتظرون في ظلال الهدنة المفروضة ما تلده الأحداث ويقرره مجلس الأمن !

وليس من هؤلاء الآخرين المنتظرين والحمد لله مصر ؛ فقد قضت عليها حمايتها للإسلام ورعايتها للعروبة وأمانتها للجامعة أن تقف وحدها في الميدان النادر تكافح في صدق وصبر جيوش اليهود وقواد الروس وأسلحة الأمريكان ومكر الإنجليز ؛ ثم لا تلقى من أخواتها الشقيقات إلا هتافاً كهتاف الحمام وحناناً كحنان الأوز : بروق لامعة من غير غيث ، وسكرك ضخمة من غير رصيد ! !

لقد تكشفت مأساة فلسطين — وا سوأتاه — عن قلوب شتى ووجوه متعارضة . والإسلام — كما رأيت — وحدة وجماعة . فمن فصم العروة بعد توثيقها ، ونقض اليمين بعد توكيدها ، وفرق الكلمة بعد توحيدها ، فهو مسلم من غير إيمان ، وعربي من غير شرف ، وإنسان من غير ضمير !

أحمد حسن الزيات